

الاستعداد اللغوي عند الطفل بين حصانة الكتاب وتهديد التكنولوجيا -دراسة ميدانية لبعض كتاتيب مدينة عين البيضاء
لولاية أم البواقي -

The linguistic readiness of the child between the immunity of the katibs and the threat of technology - a field study of some katibs in the city of Ain al-Bayda for the state of - Um al-Baqi

الدكتور: حياة بركني
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة،
جامعة باتنتة 1.
جامعة الحاج لخضر، باتنتة 1، الجزائر

الأستاذة: أسماء عبداوي*
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة،
جامعة باتنتة 1.
جامعة الحاج لخضر، باتنتة 1، الجزائر
asmaabdaoui1@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/07/02

تاريخ الاستلام: 2020/03/25

الملخص

لطالما ظلت الكتاتيب وسيلة جادة وفعالة لتنمية الملكة اللغوية للطفل الجزائري منذ عدة عصور، لكنها في السنوات الأخيرة شهدت تراجعاً كبيراً، بسبب قدم وسائلها وعدم فعاليتها، في ظل التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم، الأمر الذي تسبب في تراجع مكانة اللغة العربية، ومن هنا تبرز أهمية الدراسة باعتبارها تسعى لاسترجاع مكانة الكتاتيب بما يتوافق مع متطلبات العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: التعليم - الكتاب - التكنولوجيا - اللغة العربية.

Abstract: The katibs have always been a serious and effective means for the development of the linguistic queen of the Algerian child for several ages, but in recent years it has witnessed a significant decline, due to the outdated methods and ineffectiveness, in light of the technological development the world is witnessing, which has caused the decline of the status of the Arabic language, and hence stands out The importance of the study as it seeks to restore the position of the katibs in line with the requirements of the modern era.

Keywords: Education - The katibs - technology - Arabic language.

* الأستاذة: أسماء عبداوي، asmaabdaoui1@gmail.com

مقدمة

مرت اللغة العربية في الجزائر بعدة تحديات، بدأت بدخول الاستعمار الفرنسي الذي سخر كل الوسائل لطمس لغة الإسلام، وصولا إلى غزو التكنولوجيا للعالم العربي ككل وللجزائر على وجه أخص، ولعل أهم ما يبعث على التعجب والحيرة هنا هو صمود العربية في وجه الاستعمار لقرن ونصف رغم كل المحاولات التدميرية للغة العربية، في مقابل تراجع مكانتها عند أبنائها إلى حد كبير في السنوات القليلة الأخيرة بعد خروج الاستعمار بحوالي ثلاثين سنة، وذلك تزامنا مع دخول التكنولوجيا إلى العالم العربي الإسلامي، وإذا ما ربطنا هذه المفارقة بمكانة الكتاتيب ودورها في المجتمع الجزائري، فإن الأسئلة المطروحة هنا:

- كيف كانت حركة تطور الكتاتيب في المجتمع الجزائري منذ الاستعمار إلى يومنا هذا؟
- إلى أي مدى ساهمت الكتاتيب القرآنية في حفظ اللغة العربية قديما وحديثا؟
- ما هي آثار مزاحمة التكنولوجيا للكتاتيب في لغة الطفل؟

1. مكانة الكتاتيب ودورها في نشر اللغة والدين:

لقد كان للتعليم في الجزائر تاريخ عريق، انتعش واتسع بدخول القرآن الكريم إلى بلاد البربر، ذلك الكتاب المقدس الذي نزل بلسان عربي مبين، فأبى المغاربة إلا أن يحفظوه ويرتلوه ويلقنوه كما أنزل، لنيل الأجر الأعظم لا بترتيله وحفظ بعض سوره للصلاة فحسب، بل من أجل تدبره وفهمه، ومنافسة أهل الجزيرة العربية في استخراج أحكامه وأسراره، الأمر الذي استدعى بذل كل الجهود لنشره وتعليمه كما أنزل للمسلمين في هذه البلاد قاطبة، وقد نال الجزائريون شرف حمل هذه الأمانة أيضا وتلقينها للنشئة، فانتشرت بذلك دور التعليم، وتنافس المسلمون فيها على بنائها من أموالهم الخاصة احتسابا للأجر العظيم، ونيل الشرف والمنزلة العالية، بنشر كتاب الله، ولغة كتاب الله، ولعل أهم أماكن التعليم التي انتشرت في الجزائر بكثرة قديما وبقي نورها ساطع إلى يومنا هي الكتاتيب.

1.1 تعريف الكتاب:

جاء في لسان العرب «الكتاب: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتيب. المبرد: المكتب موضع التعليم، والمكتب المعلم، والكتاب الصبيان»¹، من المفهوم المعجمي للكلمة، يبدو أن كلمة (كتاب) تدور كلها حول فكرة تعليم الكتاب، أي تعليم ما هو مكتوب على أي كتاب، وسواء تعلق مصطلح (كتاب) بموضع التعليم، أو بالصبي المتلقي للكتاب، فإن كلمة (كتاب) اشتهرت حديثا بموضع تعليم الكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، جاء في الوسيط الكتاب: «مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن. (ج) كتاتيب»².

اصطلاحا: لم يتغير كتاب الأمس عن كتاب اليوم كثيرا من حيث المفهوم فالكتاب هو «عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد، أو بعيدة عنه، أو غرفة في المنزل، وقد بينى الكتاب خصيصا لتعليم القرآن، بينه صاحبه احتسابا لله، وطلبا لأجر الآخرة، كما قد بينه المعلم أو يكتريه على مالكة ليعلّم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ»³

أما حديثاً فقد احتفظ الكتاب بنفس طريقة تلقين كتاب الله تعالى، وبـنفس الوظيفة، فقد جمع الكتاب بين مهمة تحفيظ القرآن وتعليم الكتابة، بوسائل قديمة؛ من اللوح والمداد وأقلام القصب وبطرق تقليدية لم تخرج عن طريقة التهجي والإملاء، ثم ومحو اللوحة بعد كل ختمة لسورة أو آيات من القرآن⁴، ثم تكرر نفس العملية من أجل حفظ آيات أو سور جديدة.

ويشترط في كتابة القرآن على الألواح خطاً خاصاً نقل بالتواتر، يكتب به حسبما صرح به علماء فن الرسم، ورجالات التجويد والقراء، وقد وضعوا لذلك قواعد مضبوطة كقواعد اللغة، لا يتخطاها أحد⁵.

غير أن الكتاب اليوم أخذ بعض الأشكال الجديدة، وطوّر في بعض الوسائل، من بينها استخدام السبورة والطاولات، فصار من حيث الشكل أشبه بالمدرسة، لذلك أخذت الكتابات بهذا الشكل تسمية (المدرسة القرآنية)، وهي نفس الطريقة التي اتخذتها بعض الجمعيات اليوم لتحفيظ كتاب الله، وتعليم الحروف والكلمات للأطفال دون سن السادسة.

2.1 دور الكتابات في نشر علوم اللغة والدين:

ظهرت الكتابات والمساجد والمكتبات التي تشرف على تلقين علوم القرآن واللغة العربية أول مرة في المغرب العربي في القيروان، وذلك بفضل الصحابة والتابعين الذين قاموا بجهود جبارة من أجل نشر القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، يقول ابن خلدون: «وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هو أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة، ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، وبذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية...»⁶

وفي العهد الفرنسي تضاعف دور الكتابات من أجل التصدي لمكائد الاستعمار الذي كان يهدف لطمس الهوية الدينية للجزائريين، وكان لجمعية العلماء المسلمين دور كبير في محاربة هذا التجهيل والطمس الذي كانت تهدف إليه فرنسا، وذلك من خلال تكثيف التربية الدينية والتعليم «الذي ينشر [في الأمة] الحياة ويعيها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني ويظهر كيانها بين الأمم»⁷، ومن أجل هذا ساهمت جمعية العلماء المسلمين في زيادة عدد الكتابات، وذلك كان أحد أهم بنود الجمعية، وهو البند (77)، الذي جاء فيه التصريح الآتي: «تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدريب في أهم مراكز القطر، يحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي والنحو والصرف وحفظ القرآن مع تفهيم مفرداته وضروريات الدين والأخلاق الإسلامية، وتختار من كتب التعليم أقربها للإفادة، وتأخذ الأساتذة بتنفيذ ذلك البرنامج على وجه الدقة»⁸.

يبدو من هذا البند الحرص الشديد لأفراد جمعية العلماء المسلمين على تحقيق مشروع تعليم اللغة العربية بجميع مستوياتها الحرف والصرف والنحو، وذكرت هذه التعليمات قبل حتى تعليم تحفيظ القرآن وتعليم الدين، رغم أهميتهما القصوى في حفظ الانتماء الإسلامي للجزائريين، وذلك للدور الذي تؤديه اللغة، فهي مفتاح العلوم، وهي مفتاح حفظ وفهم القرآن في حد ذاته، وهي الوسيلة التي تقي الإنسان من أمراض التطرف والدروشة، لأنها تفتح مساحة التفكير والتدبر، وتغلق باب الحفظ الآلي دون فهم.

ولقد بقي التعليم في الكتاتيب سنة حميدة سار على دربها الجزائريون إلى يومنا هذا، إذ لازالت الكتاتيب منتشرة في مساجد مدائن الجزائر تحفظ القرآن وتلقن اللغة العربية الصحيحة، إلا أنها تشهد حديثا إقبالا أقل مما كانت عليه في السابق.

3.1 الفائدة العلمية للكتاتيب:

لقد كشفت بعض الدراسات عن فائدة مرور الأطفال على هذه المرحلة؛ مرحلة الكتاب أو الروضة، قبل الدخول مباشرة إلى المدارس الابتدائية، وذلك حسب الإحصائيات التي قام بها (رودس)، الذي رأى أن الدخول إلى المدارس في سن مبكرة مضر بالتلاميذ، مقارنة بالأطفال الذي يلتحقون بروض الأطفال قبل مرحلة التعليم الابتدائي، فالأطفال الذين يمرون بالروض لا يصابون بأي تأخر، ذلك لأن الأطفال في روض الأطفال لا يكلفون بأعمال شاقة وصعبة عليهم مقارنة بالأعمال التي يقومون بها في الروض، وهي أعمال جد بسيطة⁹.

وهو ما يدل على فائدة الكتاتيب، والتي لا تتطلب من التلميذ جهدا فكريا كبيرا، بقدر ما تتطلب إعمالا لحواس الطفل، التي تكون قابلة ونشطة جدا لاكتشاف العالم الخارجي، فالطفل في هذه المرحلة لا يحتاج سوى لإعمال حاسة السمع، من أجل سماع الآيات التي تردد على لسان شيخه وزملائه الأطفال، وتكرارها، كما يحتاج حاسة البصر، وذاكرة بيضاء نشطة قابلة كل القبول لحفظ المكتوب، والمسموع، وهي أسهل الطرق لتعلم مهارتي القراءة والكتابة عن طريق التقليد، وكلها وظائف بسيطة تسهل على الطفل، ولا تكلفه جهدا كبيرا. كما تهيب الكتاتيب الأطفال سلوكيا، لأنها تضبط حركاتهم، وتعلمهم آداب التعلم، من حيث طريقة الكلام، وأوقات الأكل، والراحة، وتحفف من فرط النشاط، الذي كثيرا ما ينتقل به التلميذ إلى المدرسة، فيعيق كثيرا العملية التعليمية ويعطى استجابة التلميذ ويضعف مردوديته، كما يحسن الكتاب كثيرا من أخلاق الطفل مما يهيئه لتربية سليمة ومن ثم تعليم سليم، لذلك يقول ابن سينا (ت 438هـ) «ابدأ بتأديبه (أي الصبي) ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق الثيمة، وتفاجئه الشيم الذميمة»¹⁰، وكل هذا يسهل على المعلم والمتعلم تقديم المواد التعليمية في جو أكثر هدوء وانضباط.

2. مكانة الكتاتيب اليوم في ظل الغزو التكنولوجي لعالم الطفل وأثرهما على لغة الناشئة

لقد كان للكتاتيب دور كبير في نشر العلم، ولولاها لانتشر الجهل بكثافة في الجزائر خاصة بعد تشويه فرنسا للمدارس، وتدخلها في طرق ومحتوى التعليم، قديما، ومن هنا أصبحت الكتاتيب سنة حميدة سار على دربها الجزائريون ولم يتخلوا عنها حتى بعد خروج الاستعمار الفرنسي، وكما كانت الكتاتيب وسيلة جادة وفعالة لتربية وتعليم الأطفال الجزائريين بقيت على سابق عهدها بعد مرحلة الاستعمار، تحفظ لغة الجزائريين، ودينهم، وتربيهم على الأخلاق السوية، وتضبط سلوكهم.

وفي العصر الحديث لم يتخلل المجتمع الجزائري عن التعليم الحر، لأن تعليم المدارس يبقى مرتبطا بوقت وبرنامج ومنهج معين وأهداف مسطرة ينبغي أن تحقق، لذلك تؤدي الكتاتيب والمدارس القروانية دورا عظيما في تحضير الأطفال أخلاقيا وعقائديا ولغويا قبل مرحلة الدخول المدرسي، وحتى بعد انتقال الطفل إلى مرحلة التعليم المدرسي.

لازالت الكتاتيب والمدارس القرآنية تكمل مهمة المدارس، وتفيد الناشئة في التوجيه الخلقي، وإنماء الروح العقائدية، وضبط السلوك، وتحسين لغة لطفل إلى حد كبير، بما يحفظه من آيات قرآنية، وبما يتعلمه من كلمات جديدة تضاف إلى رصيده اللغوي وذلك في أوقات فراغ الطفل من العطل والمناسبات الدينية، يقول مبارك بن محمد الملي: «ولا نقر الابلي على انكار فضل المدارس. فإن التعليم لم يكن قاصرا عليها حتى يخسر الطلبة من لم يوظف بها. ومادام التعليم الحر في الأمر فلن يضرها التعليم الحكومي».¹¹

ومشكلة كتاتيب اليوم أنها أصبحت قليلة جدا في وقت اللغة العربية هي في أمس الحاجة إليها مع كل ما يهددها بسبب غزو التكنولوجيا لعالم الأطفال، وانتشار العاميات واللغات الأجنبية في مقابل العربية الفصحى، وإن توفرت بعض الكتاتيب في بعض المدن إلا أنها تشهد إقبالا محتشما جدا، بسبب تفضيل الأولياء إرسال أبنائهم إلى رياض الأطفال، ولعل ذلك يعود إلى ما تعتمد عليه الرياض من أدوات حديثة في مقابل الكتاتيب، التي لا تزال إلى يومنا هذا تعتمد على نفس الأدوات التقليدية البسيطة، وهي¹²:

1. محل التعليم يملكه المعلم بالكراء أو الشراء أو الوراثة، أو تهئته له الجماعة التي يعلم عندها..
2. مصحف كامل يرجع إليه عند الحاجة، وبعض الكتب الفقهية والنحوية والصرفية والسير وغيرها...
3. محبرة مليئة بالصبغ ومهيأة للكتابة في كل حين، على أن تكون كبيرة نظيفة.
4. قلم أو مجموعة أقلام من قصب طويلة نظيفة حسنة البري، ومجموعة من الألواح الخشبية.
5. مجموعة كتب صغيرة في القواعد والعبادات والأمداح والأحكام.
6. أفرشة من الخلفاء والدوم يفرشها في كتابه للتلاميذ والمصلين.
7. مجموعة من القضبان، أو درة من جلد أو مطاط للتأديب.
8. وقد ظهرت السبورة والطباشير في الأعوام الأخيرة.

لقد احتفظت الكتاتيب اليوم بنفس الأدوات التقليدية بالرغم مما يواجهها من مشاكل تهدد بقاءها، على رأسها دخول التكنولوجيا إلى عالم الطفل، وما تلعبه الصورة والحركة من دور في جذب كل اهتمام وانتباه الطفل، إذ كثيرا ما يجلس أطفالنا في أيامنا هذه أمام التلفاز أو الجهاز الخلوي أو الآيباد لساعات طويلة، إما للعب أو لتصفح الشاشة بشغف كبير لما يعرض عليه من صور وألوان وحركة تجذب الطفل.

وكما أصبح هذا الأمر واقعا لا مفر منه، فإنه ينبغي الحذر مما يمكن أن تؤدي إليه التكنولوجيا التي باتت تزاخم الدور الإيجابي للكتاتيب في تنمية ملكة الطفل اللغوية، وتمارس في المقابل تأثيرا سلبيا على نمو الطفل اللغوي، ولعل من أهم الآثار السلبية للتكنولوجيا على النمو اللغوي للطفل ما يأتي:

- تركز وسائل التكنولوجيا حديثا على الحركة، وتعتمد على المثيرات البصرية والأشكال أكثر من اعتمادها على اللغة.

- تؤدي هذه الوسائل إلى انعزال الطفل بنفسه، في حين يحتاج الطفل إلى وضعه في مواقف تفاعلية تشرك الطفل في بعض الأعمال المصحوبة بالكلام، من أجل ربط ما يتعلمه الطفل بواقعه المعاش.
- تحول هذه الوسائل مع طول الاستعمال دون تركيز الطفل، وبالتالي تصرفه عن القراءة الناقدة والكتابة بوضوح¹³.
- لا تخلو اللغة التي يتابعها الأطفال من خلال برامج الأطفال أو الرسوم المتحركة أو أناشيد أطفال عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة من تعبيرات عامة ومن لغة الشارع.
- تعطي الوسائل التكنولوجية للطفل كما كبيرا من اللغة وبشكل سريع دون مراعاة لمستواه، ولا لقدراته الاستيعابية.
- تمنع التكنولوجيا الطفل من التفكير واستخدام عقله للبحث عن الأجوبة، فكل شيء معروض أمامه وبأسهل طريقة، فهي بذلك تعيق الجانب الإبداعي لديه وتجعل منه مجرد متلقي ومستهلك سلبي لما يعرض أمامه على شاشات التلفاز والهاتف¹⁴.

3. الدراسة الميدانية

إن طبيعة العملية التعليمية تتطلب إلى جانب الدراسة النظرية دراسة ميدانية تعزز المعلومات النظرية وتعطي نتائج قابلة للتطبيق على أرض الواقع، وذلك من أجل تحسين الفعل التعليمي تحسّنا نلمسه في مستوى المتعلمين وتطور مهاراتهم التعليمية، ولعلّ أهم ما يساعد على تحقيق هذه الأهداف قيام الدراسة الميدانية على قواعد منهجية علمية، أهمها الوصف والإحصاء؛ حيث ساعدنا الوصف في هذه الدراسة على تقصي الظاهرة المدروسة كما هي في الواقع انطلاقا من ميدان البحث، كما ساعدنا الإحصاء على تحليل البيانات المتحصل عليها بغية الوصول إلى نتائج علمية، وكانت الأداة الأساسية التي ساعدتنا على جمع أهم المعلومات المتعلقة بدور الكتاتيب في تنمية اللغة العربية ومدى مزاحمة وسائل التكنولوجيا لهذا الدور الإيجابي الذي تقوم به الكتاتيب منذ عدة عصور هي (الاستبيانات)، والتي تم توزيعها وفق ثلاث مجالات (المجال المكاني، والمجال الزمني، والمجال البشري).

أولا. الإجراءات المنهجية للدراسة

1. مجالات الدراسة:

أ. المجال المكاني: دارت عملية البحث الميداني في ثلاثة كتاتيب (أو مدارس قرآنية) لثلاثة مساجد بمدينة عين البيضاء، تم انتقاؤها بعناية لما أخذته هذه المساجد من شهرة في مدينة عين البيضاء من حيث نشاط تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أوليات اللغة العربية للأطفال المدينة، ومن حيث عدد الأطفال الذين يترددون على كتاتيبها، فضلا على توفرها على أهم الشروط والمتطلبات والعناصر التي تخدم الدراسة، وهي كالآتي:

- المدرسة القرآنية لمسجد العتيق.
- المدرسة القرآنية لمسجد خديجة أم المؤمنين.

- المدرسة القرآنية لمسجد علي بن أبي طالب.

ب. المجال الزمني: بدأت الدراسة الميدانية لهذا الموضوع من يوم الشروع في البحث النظري لهذه الدراسة إلى غاية انتهائها، وذلك من بداية شهر نوفمبر 2019م وذلك لجمع البيانات والمعلومات اللازمة من المعلمين بالكتاتيب، من أجل صياغة الأسئلة صياغة صحيحة تتناسب مع طبيعة التعليم في الكتاتيب، ثم توزيع الاستبيانات على المعلمين والشيوخ منذ يوم 19 نوفمبر، والتي بدأت مرحلة جمعها في مطلع شهر جانفي 2020، وتحليلها منذ 17 جانفي.

ج. المجال البشري: استهدفت هذه الدراسة عينة من المعلمين (ذكور وإناث) موزعين على ثلاثة مدارس قرآنية، بحيث أصبح العدد الإجمالي للمعلمين (11) معلم (ة)، والذي يمثل عينة الدراسة، والذين تم توزيع الاستمارات عليهم والقيام بمقابلة مع بعض منهم، وتم انتقاء هذه العينة حسب مستوى وعي هؤلاء المعلمين بحاجيات المتعلمين الأطفال، وبما يدور حولهم من تحديات خطيرة قد تؤثر على مستواهم التعليمي.

2. عينة الدراسة:

هي مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة، حيث تؤخذ مجموعة من أفراد المجتمع على أن تكون ممثلة للمجتمع الكلي يتم إجراء الدراسة عليها، ومن ثم استخدام تلك النتائج وتعميمها على كامل مجتمع الدراسة.

أما عينة هذه الدراسة فهي عينة قصدية، لأن المعلمين الذي تم توجيه الأسئلة إليهم هم فقط المعلمين الذين يدرسون في الكتاتيب القرآنية، أي في مجال التعليم الحر، مع التركيز على المعلمين الذين يدرسون الأطفال من السن 3 إلى 5 سنوات، أي مرحلة ما قبل التعليم المدرسي، وهي المرحلة التي يركز فيها المعلم على تنمية الاستعداد اللغوي لدى المتعلمين فقط إلى جانب تحفيظ القرآن، بعيدا عن التلقين المباشر لقواعد اللغة.

ونحسب هذه العينة المكونة من (11) معلم (ة) ممثلة للمجتمع الكلي، لأنها شملت مختلف المعلمين ذكورا وإناثا، ومختلف المستويات بين من له شهادة متوسط، وبكالوريا، وليسانس، وماستار، وبين من له شهادة حفظ القرآن الكريم وإجازة وشهادة تخرج من المعهد الإسلامي، موزعين على ثلاثة مدارس قرآنية مختلفة من مدينة عين البيضاء.

3. منهج الدراسة:

تم اعتماد المنهج الوصفي في الدراسة، نظرا لأهدافه وخصائصه التي تتماشى مع طبيعة الدراسة التي تسعى لرصد واقع اللغة العربية عند أطفال الكتاتيب دون السن 6 سنوات، في ظل الوضع الراهن لواقع الطفل الذي دخلت للتكنولوجيا عالمه وباتت تزاخم الكتاتيب في دورها التعليمي للغة العربية، أما المنهج الإحصائي فتم الاستعانة به من أجل تحليل البيانات المتحصل عليها بغية الوصول إلى نتائج علمية أقرب إلى الدقة.

4. أدوات الدراسة:

اشتملت أدوات الدراسة على بطاقة شخصية للمبحوث وشملت: المستوى التعليمي للمعلم والشهادات المتحصل عليها، وكذلك لتحديد نسبة الأطفال الأكثر ترددا على الكتاتيب، وذلك من أجل معرفة أثر هذه المتغيرات على اتجاه المبحوث (المعلم أو المعلمة) في تعليم اللغة العربية ومدى وعيه بأهمية الكتاب في تعليم اللغة العربية، وبخطورة وسائل التكنولوجيا على مستوى الأطفال اللغوي.

استخدم الاستبيان كأداة لجمع المعلومات والبيانات وآراء المبحوثين حول الموضوع محل الدراسة، والاستبيان هو مجموعة أسئلة مكتوبة يتم إعدادها بقصد الحصول على معومات وآراء المبحوثين حول ظاهرة ما، وقد تم بناء الاستبيان عبر الخطوات التالية:

- الاطلاع على الدراسات السابقة.
- وضع أسئلة تتضمن أهم أهداف البحث ومقاصده.
- ضبط الاستمارة معرفيا من خلال الاستعانة بأئمة وشيوخ ومعلمين في المجال.
- إجراء التعديلات المناسبة للاستبيانات بنا يتوافق مع موضوع الدراسة وأهدافها.

5. الأساليب الإحصائية:

بعد جمع المادة النظرية وحصولنا على البيانات من المبحوثين عن طريق الاستمارة، تم التمثيل لهذه البيانات وفق أرقام دقيقة من أجل معالجتها، وقد تمثلت هذه الأساليب فيما يأتي:

أ/ الجداول الإحصائية: هي الوسيلة التي يمكن بواسطتها تلخيص المعلومات الرقمية الكبيرة بطريقة تسهل التعرف على المعطيات وتوضيحها بالنسب المئوية.

ب/ النسب المئوية:

وهي الوسيلة الإحصائية التي اعتمدنا عليها في تفسير وعرض نتائج الاستبيانة، حيث نقوم بعملية ضرب التكرار في 100، وتقسيمه على المجموع الكلي للتكرارات كما يأتي: النسبة المئوية:

$$\frac{\text{التكرار}}{\text{مجموع التكرارات}} \times 100$$

ثانيا. عرض وتحليل نتائج الدراسة:

الجدول (1) المستوى التعليمي للمعلمين

النسبة (%)	العدد	التكرار / المستوى
9.09%	1	متوسط
54.54%	6	بكالوريا
9.09%	1	ليسانس
27.27%	3	ماستار
100%	11	المجموع

تشير بيانات الجدول رقم (1) الخاصة بمستوى المعلمين التعليمي إلى أن غالبية المعلمين متحصلين على شهادة بكالوريا، وهذا ما تشير إليه النسبة المئوية 54%، وشكلت شهادة الماستار المرتبة الثانية بينما لم تحصل رتبة الليسانس سوى على نسبة 9.09%، وهو نفس النسبة التي أخذتها رتبة شهادة التعليم المتوسط، ولا شك أن انخفاض نسبة المتحصلين على شهادة الليسانس في مقابل ارتفاع نسبة المتخرجين بشهادة الماستار، هي قضية لا تبررها سوى اصطدام المتخرجين من الجامعة بظاهرة البطالة الأمر الذي يؤدي بهم إلى امتحان التعليم مقابل أجر بسيط يخلصهم من شبح البطالة، بينما ينجح طلبة الليسانس إلى إكمال مرحلة التعليم الجامعي (الماستار).

أما انخفاض نسبة المعلمين ذوي المستوى التعليمي المتوسط فذلك لأن هذه الفئة غالبا ما تستبعد في عملية تحفيظ القرآن لعدم حصولها على الكفاءة المناسبة لذلك، خاصة عندما لا تكون حاملة لأي شهادة تثبت حفاها لجزء من القرآن أو كله، وهي ظاهرة صحية تدل على أن مكانة الكتاتيب لا تزال إلى يومنا هذا مكانة مهمة لا تمنح إلا للأكفاء، الذين وصلوا إلى مستوى تعليمي يؤهلهم لتحفيظ القرآن الكريم، وهو مستوى البكالوريا، وغالبا ما يدعم هؤلاء المعلمون مستواهم المعرفي بشهادة في حفظ جزء من القرآن أو حفظ القرآن ككل، كما تبين من خلال جمع الاستبيانات، التي أظهرت وجود معلمين اثنين ممن يحفظون القرآن ككل، فيكونون فعلا أهلا لهذه المكانة الشريفة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن مستقبل الكتاتيب لا يزال مرشحا للازدهار، مادامت هذه الفئة تشرف على تعليم الناشئة القرآن واللغة العربية في مدينة عين البيضاء.

وينبغي الإشارة هنا إلى أنه من بين الشهادات المتحصل عليها من قبل الفئة المبحوثين هناك ثلاثة شهادات إعلام آلي، بينها شهادتي ماستار في الإعلام الآلي مما ساعد أكثر على توضيح الجزء المهم من بحثنا هذا وهو دور التكنولوجيا السليبي في حياة الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، ومدى مزاحمتها لدور الكتاب، وكيفية توظيف التكنولوجيا نفسها في تنمية وتطوير التعليم في المدارس القرآنية.

الجدول (2) عدد الأطفال الذين يترددون أكثر على الكتاب

النسبة (%)	العدد	التكرار المستوى
27.27%	3	من 3 إلى 5 سنوات
63.63%	7	من 6 إلى 10 سنوات
9.09%	1	الأطفال فوق 10 سنوات
100%	11	المجموع

تبين من الجدول رقم (2) الخاص بتكرار ونسب عدد الأطفال الذين يترددون أكثر على الكتاتيب، حيث ارتفعت نسبة الأطفال الذي يتراوح سنهم من 6 إلى 10 سنوات عن بقية الأطفال من حيث التردد على المدارس القرآنية، ولعل ذلك يعود إلى نوعية وسائل التعزيز والتشجيع في المدرسة القرآنية، والتي يبدو أنها تتناسب أكثر مع الأطفال الأكثر وعيا ونضجا من الأطفال دون الست سنوات، وهذا ما يستدعي تطوير وسائل الكتاب بما يتناسب مع هذه الفئة العمرية أكثر، من أجل النجاح في جذب الطفل دون الست سنوات إلى المدارس القرآنية، كما لا يمكن إغفال عامل التعود على جو المدرسة الذي يتوفر لدى الفئات العمرية التي تدرس في المدارس مقارنة بالفئة العمرية التي لم تلتحق بالمدرسة، أو التي لم تتعود على جو المدرسة بعد مثل فئة الخمس سنوات (5)، فضلا عن وجود عامل آخر يتعلق بالآباء، وهو تفضيل الأهالي للروضات في سن دون 5 سنوات وللتعليم التحضيري في سن 5 سنوات عن التعليم القرآني، لما يوفرانه من إقامة أدوم من إقامة المدارس القرآنية، وهو ما يناسب حاجة كثير من الآباء والأمهات الذين أصبحوا يشتركون في العمل خارج المنزل.

1. عرض وتحليل التساؤل الأول (تقييم المعلم للطرق المعتمدة في المدرسة القرآنية (أو) الكتاب من أجل جذب الطفل في ظل الغزو التكنولوجي)

جدول رقم (3) يوضح تقييم المعلم للطرق المعتمدة في المدرسة القرآنية

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
36.36 %	4	جيدة
27.27 %	3	مقبولة
36.36 %	4	بحاجة إلى التعديل
100 %	11	المجموع

تبين من الجدول (3) أن هناك اختلاف واضح بين فئتين من المعلمين في الكتاتيب، حيث أخذت الفئة التي ترى ضرورة إدخال تعديلات على الكتاتيب نفس نسبة الفئة التي ترى أن طرق الكتاتيب اليوم جيدة وينبغي أن تبقى على حالها لضمان نجاح التعليم، وهي نسبة: 36.36 %، وبإضافة الفئة التي ترى أن طرق التعليم في الكتاتيب مقبولة، والتي أخذت نسبة 26.26 %، وهي نسبة كبيرة أيضا، وبحساب مجموع النسبتين نتحصل على 62.62 % من الذين لا يوافقون فكرة إجراء أي تعديل على الكتاتيب، مما يعني أننا أمام اتجاه كبير يرى ضرورة المحافظة على الطريقة التقليدية للكتاتيب، ولعل ذلك يعود لما يلتمسه المعلمون من نتائج جيدة على مستوى حفظ الأطفال واستجابتهم، وهو ما سيوضحه الجدول رقم (8)، والذي يتضمن مستوى حفظ الأطفال للقرآن، والذي اتسم بالسرعة بعيدا عن الدور السلبي للتكنولوجيا.

2. عرض وتحليل التساؤل الثاني (تحديد نسبة استعمال الطفل للتكنولوجيا: التلفاز - الهاتف - اللابتوب .. من خلال استفسار الأولياء)

جدول رقم (4) يوضح نسبة استعمال الطفل للتكنولوجيا

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
63.63 %	7	كبير
27.27 %	3	متوسط
9.09 %	1	ضعيف
100 %	11	المجموع

تشير بيانات الجدول رقم (4) والذي يوضح رأي المعلمين في نسبة استعمال الأطفال للتكنولوجيا بناء على استفسار أولياء الأطفال، والتي تبين أنها نسبة كبيرة من خلال أغلب الإجابات التي وصلت إلى 63.63%، مقارنة بمن قال أنها نسبة متوسطة أو ضعيفة، وهو واقع معاش يرويه الأولياء للمعلمين، ويلاحظه المعلمون على سلوكيات الأطفال، وهذا يعود لمكانة التكنولوجيا في عالم الإنسان الذي لم يعد قادرا على الاستغناء عنها في مختلف أحواله، مما أدى إلى غزوها لعالمه بشدة، بل وتطور الأمر لتدخل إلى عالم الطفل الذي يعد فردا من أفراد كل أسرة في العالم، يحتك بالتكنولوجيا بطريقة أو بأخرى.

3. عرض وتحليل التساؤل الثالث (مظاهر تأثير التكنولوجيا على الطفل):

- المظاهر التي ذكرها المعلمون بالمدارس القرآنية هي مظاهر سلبية في أغلبها، لاحظها المعلمون على سلوكيات الأطفال ومستوى استيعابهم وتمثلت أهم هذه المظاهر فيما يأتي:
- أخطرها بروز علامات التوحد على سلوكيات الطفل (بطء الاستجابة أو غيابها تماما في بعض الحالات - الاستجابة الآلية بتكرار أو التكملة دون الفهم).
 - ضعف مستوى تركيز الطفل واستيعابه.
 - إدمان الألعاب والأفلام الكرتونية التي تعرض على شاشات أجهزة التكنولوجيا، وتفضيلها على أي نشاط آخر، خاصة النشاطات المفيدة التي تربط الطفل بالعالم الخارجي.
 - تقمص شخصيات الرسوم المتحركة مما أثر سلبا على سلوكيات الطفل التي باتت غير سوية (فوضى - عنف - حركة مفرطة).

- عدم سلامة الطفل الصغير من المواقع غير الأخلاقية خصوصا في غياب الرقابة.
- تجميد الفكر، وغياب المرونة في التعامل مع التحديات الحقيقية التي تواجه الطفل.
- لا شك أن تركيز المبحوثين على المظاهر السلبية لتأثير التكنولوجيا على الطفل مما يوحي بشعور المعلمين بخطورة التكنولوجيا على الطفل، وتحسبهم لما يمكن أن تؤدي إليه من نتائج سلبية على مستوى حفظ الأطفال للقرآن الكريم وتحصيلهم للغتهم العربية، وهو ما يظهر من خلال عرض نتائج السؤال الرابع.
- 4. عرض وتحليل التساؤل الرابع (رأي المعلم في دخول التكنولوجيا على الطفل إن كان قد أضعف من حفظه للقرآن ومن تعلمه اللغة العربية أم لا)

جدول رقم (5) يوضح نسبة المعلمين الذين أجابوا بنعم أو لا حول الدور السلبي للتكنولوجيا

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
72.72 %	8	نعم
27.27 %	3	لا
100 %	11	المجموع

تبين من الجدول (5) كيف ارتفعت نسبة المعلمين الذين قالوا بضعف مستوى حفظ الأطفال للقرآن وتعلمه اللغة العربية بسبب دخول التكنولوجيا عالمهم، حيث أخذت نسبة الذين قالوا بالدور السلبي للتكنولوجيا 72.72%، بينما أخذت نسبة المعلمين الذي نفوا أن يكون للتكنولوجيا علاقة بضعف مستوى المتعلمين في حفظ القرآن وتعلم اللغة العربية 27.27%، وهي تمثل نسبة قليلة مقارنة بالفئة التي لاحظت ضعف مستوى تحصيل الأطفال في الكتاتيب بعد دخول التكنولوجيا عالم الطفل.

لا شك أن ما أدت إليه التكنولوجيا من آثار سلبية ظهرت على سلوكيات الطفل والتي كان أخطرها بروز علامات التوحد وضعف مستوى تركيز الطفل واستيعابه، وتفضيل العالم الافتراضي على التواصل المباشر الفعال، والحركة المفرطة، وغيرها مما تم ذكره سابقا، كل ذلك تسبب في ضعف مستوى حفظ الأطفال للقرآن الكريم وتراجع محصلهم اللغوي مقارنة بما كان عليه الطفل في السابق، فلاشك أن الطفل ضعيف التركيز أو مفرط الحركة ستكون استجابته أبطأ وأقل من الطفل السوي، ولذلك يمكن القول أن التكنولوجيا تعد سببا مباشرا في ضعف مستوى حفظ الأطفال وتحصيلهم اللغوي.

5. عرض وتحليل التساؤل الخامس (الصعوبات التي يواجهها الأطفال أكثر في الكتاب)

جدول رقم (6) يوضح نسبة الصعوبات التي تواجه الطفل في الكتاب

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
18.18%	2	صعوبات أكثر في حفظ القرآن
9.09%	1	صعوبات أكثر في حفظ الكلمات
27.27%	3	صعوبات أكثر في نطق الحروف
45.45%	5	صعوبات أكثر في تعلم الكلمات وربطها بمعناها
100%	11	المجموع

تبين من الجدول (6) الذي يرصد رأي المعلمين في أهم الصعوبات التي يواجهها الأطفال أكثر في الكتابات، أن تعلم الكلمات وربطها بالمعنى هي أكثر تحدي يواجهه الطفل في الكتاب وذلك بنسبة 45.45%، مقارنة بغيره من التحديات التي تعترض الطفل أثناء الحفظ والتعلم، ولعل ذلك يعود إلى أن عقل الطفل التجريدي لم ينمو بعد، لأن عملية ربط الدال بالمدلول هي عملية تجريدية تحصل على مستوى الذهن، ولا شك أن هذا التحدي يحتاج إلى بذل مجهود أكبر أثناء تلقين الكلمات للأطفال، وبذل جهد أكبر في ربطها بمعناها في الكتابات، التي لا تزال طريقتها تقليدية تعتمد على قوة حفظ الأطفال للكلمات ومعانيها دون الاستعانة بوسائل خارجية تساعد على تخزين الكلمات بمعانيها في قالب جذاب للطفل.

وإذا كانت صعوبات نطق الحروف قد أخذت المرتبة الثانية مباشرة بعد صعوبة ربط الكلمات بالمعنى بنسبة 27.27%، فذلك تفسيره أن الجهاز النطقي عند الطفل لم يتهياً لنطق بعض الحروف التي لم يتعود عليها، وقد أكد المبحوثون أثناء المقابلات الشفوية أنه ليس مشكلاً خطيراً ويمكن أن يعالج مع الوقت، والدليل على ذلك أن بعض الأطفال تتحسن طريقة نطقهم للأصوات مع الزمن فقط.

6. عرض وتحليل التساؤل السادس (مستوى حفظ الأطفال الذين ترتفع نسبة استعمالهم للتكنولوجيا)

جدول رقم (7) يوضح نسب حفظ الأطفال الذين يستخدمون التكنولوجيا بكثرة

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
18.18%	2	سريع
45.45%	5	متوسط
27.27%	3	بطيء
9.09%	1	بطيء جداً
100%	11	المجموع

أسفرت بيانات الجدول رقم (7) على الدور السلبي للتكنولوجيا في مستوى حفظ الأطفال، فإذا كانت الدراسات العلمية تثبت أن ملكة الحفظ عند الأطفال تكون في أوج نشاطها في السنوات العمرية الأولى¹⁵، فإنه من الخطورة بما كان أن تشير بيانات الجدول إلى هذه النسب التي تدل على أن مستوى حفظ الأطفال يتراوح بين المتوسط والبطيء، أي بنسبة 45.45% للمتوسط، ونسبة 27.27% للمستوى البطيء، بل ووجود نسبة مئوية للمستوى البطيء جدا هي 9.09%، وهي دون شك نسب تدل على خطورة الوضع، وعلى ضرورة التدخل السريع لإبعاد التكنولوجيا قدر الإمكان من عالم الطفل، حتى يعود للطريقة التقليدية التي تعزز ملكته السمعية من خلال التلقين، والتكرار مما يوقره جو الكتاب، بعيدا عن التكنولوجيا التي تركز على حاسة البصر فتربطه بالصورة الخارجية، وتعوده على التحصيل الجاهز دون بذل جهد في الاستدكار مما يضعف ملكة الحفظ لديه.

هذا ولا يخفى علينا ما تسببه التكنولوجيا من نتائج على سلوك الطفل تم ذكرها في إجابة السؤال رقم (3)، كظهور علامات التوحد، وقلة التركيز، والحركة المفرطة مما يبطئ عملية الحفظ لديه داخل الكتاب، حتى مع استبعاد جميع وسائل التكنولوجيا، لأن تبعات التكنولوجيا لازالت متحركة في سلوكيات الطفل.

7. عرض وتحليل التساؤل السابع (مستوى حفظ الأطفال الذين تقل نسبة استعمالهم للتكنولوجيا)

جدول رقم (8) يوضح نسب حفظ الأطفال الذين يستخدمون التكنولوجيا بقلّة

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
72.72%	8	سريع
27.27%	3	متوسط
0%	0	بطيء
0%	0	بطيء جدا
100%	11	المجموع

دلت بيانات الجدول رقم (8) على مستوى حفظ طبيعي جدا للأطفال الذين تقل نسبة استعمالهم للتكنولوجيا، والتي تراوحت بين 72.72% للأطفال ذوي المستوى السريع في الحفظ، وبين 27.27% للأطفال متوسطي الحفظ، وذلك يعود لملكة الحفظ لدى الطفل التي تكون في أوج قوتها في هذه المرحلة العمرية من حياة الطفل، وعدم وجود أي وسائط تحول بين المدخلات وذهن الطفل الذي يكون صفحة بيضاء في هذه الفترة يسهّل عملية الحفظ لديه، والتي تأخذ مجراها الطبيعي وتمكن الطفل من حفظ أكبر قدر من النصوص والكلمات دون استعانة بأي وسائط أخرى زائدة عن الوسائط التقليدية البسيطة، التي تجعل الطفل في ارتباط مباشر بينه وبين النصوص المحفوظة، عن طريق السماع والقدرة الكبيرة على المحاكاة.

8. عرض وتحليل التساؤل الثامن (الوسائط التربوية التي يوظفها المعلم لمساعدة الأطفال على تنمية القدرة

على الحفظ)

جدول رقم (9) يوضح نسبة الوسائط التربوية التي يوظفها المعلم في الكتاب

النسبة (%)	العدد	التكرار الخيارات
100%	11	القصة
0%	0	الألعاب
0 %	0	الصور
100%	11	المجموع

تبين من الجدول (9) الذي تفوقت فيه **القصة** على غيرها من الوسائط بنسبة (100%) أن أفضل طريقة تساعد على تنمية قدرة الأطفال على الحفظ هي الاستفادة من عامل الخيال لديه، فالطفل في هذه المرحلة العمرية تقل تجاربه الحياتية، وتقل نسبة تعرفه على العالم الخارجي، ولذلك يمكن الاستفادة من القصة لتوظيف ما يعرفه الطفل من معطيات العالم الخارجي، ومما عايشه من تجارب قليلة في حفظ وتخزين المعطيات الجديدة، ولذلك فإنه ينبغي تعزيز مكانة القصة في الكتاب لجذب الأطفال، وتسريع الحفظ لديهم، من أجل مجازاة وسائل التكنولوجيا وما تعتمد من وسائل جذب، بإحلال القصة مكانها لما يمكن أن توفره هذه الوساطة من عنصر تشويق يغني الطفل عن هذه الوسائل ويحميه من تبعاتها السلبية.

ركز المبحوثون في الإجابة على السؤال الفرعي الذي تطلب ذكر وسائط أخرى غير (القصة- الألعاب- الصور) على عدة وسائط اختلفت باختلاف الهدف.

- بالنسبة لتحفيز الكلمات أشاد المبحوثون كثيرا بأهمية **الأناشيد** في تحفيز الكلمات للطفل، شرط أن تتجرد الأناشيد من الموسيقى التي تشتت ذهنه، وتبعده عن الهدف المقصود.

- أما بالنسبة لتحفيز القراء الكريم فقد أكد المبحوثون كثيرا على نجاعة **الطريقة التقليدية** في تحفيز القرآن الكريم، والتي تعتمد التلقين، والتكرار الفردي والجماعي، والعرض على الشيخ، غير أنهم يرون ضرورة تدعيمها بأساليب أخرى قريبة من القصة كالتمثيل بالحركات، وبالأشياء المحسوسة، وإضفاء عنصر الطرافة أثناء الشرح لتقريب المحفوظ من خيال الطفل حتى يستوعبه ويحفظه أكثر، بالإضافة إلى تحفيز الأطفال بالجوائز والرحلات للمتفوقين.

وقد أكد المبحوثون على النجاح الكبير الذي حققته هذه الوسائط، ووصفوها بأنها وسائط جيدة جدا.

9. عرض وتحليل التساؤل التاسع (رأي المعلمين حول أنجع التكنولوجيات لتحفيظ القرآن الكريم)

جدول رقم (10) يوضح نسبة التكنولوجيات الأنجع لتحفيظ القرآن الكريم

التكرار الخيارات	العدد	النسبة (%)
تكنولوجيا الصوت	9	81.81%
تكنولوجيا الصورة	2	18.18%
تكنولوجيا الصورة المتحركة	0	0%
المجموع	11	100%

تبين من الجدول (10) أن تكنولوجيا الصوت هي أكثر التكنولوجيات التي يراها المبحوثون وسيلة مساعدة لتحفيظ القرآن الكريم، ولذلك أخذت نسبة أكبر من بين بقية الخيارات وهي (81.81%)، ولا شك أن تفضيل هذه الوسيلة على غيرها من الوسائل التكنولوجية يعود إلى ما يمكن تسهم فيه تكنولوجيا الصوت من تعزيز مهارة السماع لدى الطفل، وهي المهارة الوحيدة التي يحتاج الطفل إلى تنميتها في هذه المرحلة، أما دورها من الوسائط التكنولوجية فلن يسهم سوى في تشتيت الطفل، وقطع الاتصال بينه وبين النصوص التي لا يحتاج سوى إلى سماعها ومحادثتها، ولذلك رأى بعض المبحوثين الذين أخذنا آراءهم في بعض المقابلات الشفوية المباشرة أنه من الضروري استبعاد كل هذه المشتتات أثناء تحفيظ القرآن داخل الكتاب.

وبالرغم من إشادة المبحوثين بدور تكنولوجيا الصوت في تعزيز مستوى حفظ الأطفال للقرآن الكريم إلا أنهم لا يزالون يشددون كثيرا على أهمية الطريقة التقليدية في تحفيظ القرآن (اللوحة، والسمع، والتسميع، والتكرار)، وظهر ذلك في إجاباتهم على السؤال الفرعي الذي يدفع المبحوث إلى ذكر إجابات أخرى.

10. عرض وتحليل السؤال العاشر (10) (رأي المعلمين حول أنجع التكنولوجيات لتعليم الكتابة والقراءة)

جدول رقم (11) يوضح نسبة التكنولوجيات الأنجع لتعليم الكتابة والقراءة

التكرار الخيارات	العدد	النسبة (%)
تكنولوجيا الصوت	5	45.45%
تكنولوجيا الصورة	5	45.45%
تكنولوجيا الصورة المتحركة	1	9.09%
المجموع	11	100%

تشير بيانات الجدول رقم (11) إلى تركيز المبحوثين على دور تكنولوجيا الصوت أو الصورة في تعليم الكتابة والقراءة للأطفال، وإن أشاد بعضهم بدور الصوت وحده في تعليم اللغة وذلك بنسبة (45.45%) فذلك يعود إلى تمسك المعلم بالطريقة التقليدية التي يراها أنجح في التعليم لأنها تركز على التلقين الصوتي للحروف والكلمات وحفظ الأطفال لها سماعاً، وهي طريقة تضمن حفظ كل ما يلحق للطفل من أصوات وكلمات، أما ذهاب البعض الآخر بنفس النسبة وهي (45.45%) إلى دور تكنولوجيا الصورة في تعليم اللغة فذلك يعود إلى وعيه بفشل الطريقة التقليدية التي تعتمد التكرار الآلي، والتي تجعل الطفل يحفظ الكلمات دون فهم لمعناها، أو نسيان معانيها لعدم وجود رابط يذكرهم بالمدلولات، أو تجعله يحفظ نطق الأصوات ولا يتعود على طريقة كتابتها وبالتالي قراءتها.

أما تكنولوجيا الصورة المتحركة فقد أخذت النسبة الأقل من بين الوسائط التكنولوجية الأخرى وهي نسبة (9.09%)، وأثناء بعض المقابلات رفض أغلب المبحوثين هذا النوع من التكنولوجيا لأنه يرى أن الطفل صفحة بيضاء يسهل عليه تخزين مختلف المعلومات دون حاجة لوسائل أكثر جاذبية لذهن الطفل، والتي قد تعود عليه سلباً إذا ما تعود عليها لأنه سيصير تركيزه مرتبط أكثر بالحركات وأسبابها ونتائجها أكثر من ارتباطه بالمضمون في حد ذاته. وفي السؤال الذي يطلب من المبحوثين إجابات أخرى ظل بعض المبحوثين يؤكدون على الطريقة التقليدية حتى في تعليم الكتابة والقراءة التي تقتصر على التلقين المشاهدة والمحاكاة.

11. عرض وتحليل السؤال الحادي عشر الذي يدور حول (أهم اقتراحات المبحوثين لدعم طريقة التدريس

في الكتابات والمدارس القرآنية)، حيث كانت أهم الإجابات تدور حول ضرورة العودة لطريقة التقليدية (اللوحة والقلم والجلوس أمام المعلم للتلقين والحفظ)، وهو ما يمثل رأي أغلب المبحوثين.

لا شك أن هذا الرأي الذي ركز عليه المعلمون في كثير من الأسئلة المطروحة مما يوحي بنجاح الطريقة التقليدية في تعليم اللغة وتحفيز القرآن الكريم، وهذا مما ينبغي أخذه بعين الاعتبار في هذا البحث الذي يسلط الضوء على دور الكتابات في تعليم الطفل في ظل الغزو التكنولوجي.

وإن كان المبحوثون قد نددوا كثيراً بخطورة وسائل التكنولوجيا على عقل الطفل ودرجة استيعابه ومستوى استجاباته الذي يضعف كلما كان الطفل قريباً من هذه الوسائل إلا أنهم من ناحية أخرى لم ينفوا دور التكنولوجيا وفي تعليم القراءة والكتابة، على أن يتم إبعاد التكنولوجيا عن عالم الطفل إلا بالقدر الذي يساهم في تعزيز حاسة السمع لديه.

فالتكنولوجيا خطرة على الطفل في وقت هو في أمس الحاجة فيه للتواصل مع الآخرين لاستمداد التجارب والخبرات من جهة، ولتحفيزه على الكلام والتواصل من جهة ثانية، وهذا وإن كانت تعمل عليه المدرسة وفق نشاط استراتيجي، يحفز الطفل على الكلام من خلال الوسائل والطرق البيداغوجية المعروفة (الأسئلة - التقييم - المنافسة - التشجيع - العقوبة)، فإن تهيئة الطفل للتواصل قبل مرحلة التعليم الابتدائي مهمة جداً بالنسبة للطفل أيضاً في جو وسط، شبيه بمناخ المنزل ومهيأ لجو المدرسة من حيث الانضباط وتلقي المعرفة، يقول هابرماس (Habermas (J): «وإذا كان النشاط الاستراتيجي يتميز بكون الواحد يؤثر في الآخر تجريبياً (سواء بتهديده بعقوبة ما أو بإغرائه بمكافأة معينة) وذلك للحصول على الاستمرارية الموجودة للتفاعل، ففي النشاط التواصلية كل واحد يحفز عقلاً من طرف الآخر

للفعل بطريقة مشتركة وذلك بمقتضى مفعولات الالتزام الكلامي الملازمة لما نقترحه من أفعال الكلام»¹⁶، ولذلك فإنه من الأفضل إبعاد ربط الطفل أكثر بالتواصل المباشر الذي يعزز الحفظ لديه ويقوي مستوى استجاباته.

فالحفاظ على دور الكتاب أمر في غاية الأهمية، لكن مادام هناك مداخل أخرى تنافس وسائل الكتاب التقليدية في تقديم المعلومة، وتحفيز الطفل على حفظها، فتكون ذاكرته مفتوحة على المعلومات التي تعطى له في قالب من الصور والألوان والحركة أكثر من المعلومات التي تعطى له في الكتاب، من (حروف، وكلمات، وآيات قرآنية..)، فإنه من الضروري أن تطوّر وتقوّي الكتاتيب نفسها من الداخل، من حيث الطريقة ووسائل تقديم، حتى تكون جاهزة لمواجهة تحديات العالم التقني الذي يعيشه الطفل في حياته اليومية، ولعل أهم الوسائل التي رأيناها ناجعة من خلال هذا الاستبيان (القصة، والأناشيد، والحركات، والتمثيل..)، فضلا عما يمكن أن تقدمه تكنولوجيا الصوت من تعزيز لمستوى حفظ الأطفال للقرآن الكريم، أم تكنولوجيا الصورة فلاحظنا أنها مفيدة في ربط الأصوات بشكلها والكلمات بمعانيها أكثر وذلك من أجل تعلم القراءة والكتابة.

ولذلك ينبغي الإشارة هنا إلى أن إدخال التكنولوجيا والعالم التقني وعالم الصورة في الكتاب للطفل يجب أن يكون محدودا جدا، لأن الطفل ليس بحاجة إلى جميع هذه المؤثرات الخارجية، لأن جميع عوامل التقليد متوفرة لدى الطفل في هذا السن وهي أربعة¹⁷:

- وضوح الإحساسات السمعية.
 - والقدرة على حفظ هذه الإحساسات وعلى تذكرها عند الحاجة إليها.
 - وفهم معاني الكلمات.
 - ونشاط الطفل الحيوي الذي يتمثل في عزمه وإرادته ورغبته في الاشتراك في حلبة الحياة.
- ولذلك فإننا لا زلنا نصر على أن الطريقة التقليدية هي الطريقة المثلى لتحفيز سور القرآن الكريم وآياته البينات، وهي الطريقة التي تنمي ملكة الطفل اللغوية، بعيدا عن جميع المؤثرات التقنية والصور المتحركة التي تشتت انتباه الطفل وتربطه بالصورة أكثر، فتنشط ذاكرته القصيرة على حساب أنواع الذاكرة الأخرى، ولهذا ينبغي أن يستفاد من التكنولوجيا في هذه المرحلة العمرية من حياة الطفل فقط بالقدر الذي ينمي نشاط الطفل الحيوي ويقوي إرادته ويحفزه على التردد على الكتاب، وبالقدر الذي يجعل مدلولات الألفاظ والجمل التي ينبغي أن يقلدها الطفل واضحة في ذهنه، وبالقدر الذي يقدم صور الحروف في قالب مشوق ومحفز مما يسهل على الطفل محاكاتها بسهولة، وذلك من أجل تعزيز قدرات القراءة والكتابة لديه.

أما أهم مهارة ينبغي العمل عليها في هذه المرحلة الحساسة جدا من عمر الطفل هي مهارة السماع أكثر من أي مهارة أخرى، وأن أي استفادة من التكنولوجيا في هذه المرحلة ينبغي أن تصب في تنمية هذه المهارة أكثر من غيرها، وذلك للاستفادة من ملكة الحفظ لديه، والتي تكون في أوج نشاطها في هذه المرحلة العمرية، ذلك لأن الطفل « في (مرحلة التقليد اللغوي) يبلغ [ميله..] إلى محاكاة الكلمات وقدرته على سرعة تقليدها أقصى ما يمكن أن يبلغه، وأنه لذلك يستطيع أن يتعلم بسهولة أية لغة أجنبية إذا أتيح له الاختلاط بأهلها بدون أن يكلفه ذلك مجهودا يذكر، بل بدون

أن يشعر في أثناء محاكاته لحديثهم أنه يتعلم شيئاً جديداً»¹⁸ فهذا هو ما يقال عن تعلم اللغة الأجنبية فما بالك بتعلم لغة القرآن الكريم، وهي اللغة الأقرب إلى لهجة الطفل.

ولذلك يمكن الاستفادة من التكنولوجيا هنا أثناء تكرار نصوص الحفظ، فبدل الاستعانة بالطريقة التقليدية التي يكرر من خلالها المعلم الآيات القرآنية على مسامع الأطفال، وهم يرددون وراءه، فتتفاوت سرعة الحفظ، بين من يحفظ بسرعة، ويضطر إلى انتظار من يحفظ بشكل بطيء من زملائه حتى يمر إلى السور الموالية، فتضيع فرصة استغلال ملكة الحفظ لديه في حفظ أكثر من سورة أخرى في زمن قصير، وبين من يحتاج إلى وقت أطول للحفظ فيجد أن زملاءه قد سبقوه في الحفظ، وذلك يمكن الاستعانة بتطبيق يسهل على الطفل تكرار المحفوظ ويصحح أخطاءه حتى لا تضيع عليه فرصة الحفظ السريع، أو حتى يلتحق بزملائه بشكل عادي.

عرض نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- ظهرت الكتابات في الجزائر منذ دخول الإسلام، وكانت حصناً قوياً للغة العربية في عصر الاستعمار.
- كشفت الدراسات عن الفائدة العلمية لمرور الأطفال على مرحلة التعليم في الكتابات والتي تقلل من الإصابة بأي تأخر، لأنها تقرب الطفل من جو المدرسة دون فصله تماماً عن جو المنزل.
- باتت التكنولوجيا تزاخم الدور الإيجابي للكتابات في تنمية ملكة الطفل اللغوية، وتمارس في المقابل تأثيراً سلبياً على نمو الطفل اللغوي.
- ذهب عدد كبير من المعلمين في الكتابات قدر بـ 62.62% إلى ضرورة المحافظة على الطريقة التقليدية للكتابات، ويعود ذلك لما تلمسوه من نتائج جيدة على مستوى تحصيل الأطفال.
- ذهب 63.63% من المعلمين بالكتابات إلى أن الأطفال يستعملون التكنولوجيا بنسبة كبيرة، ظهرت نتائجها السلبية على سلوكيات الطفل، التي كان أخطرها ظهور علامات التوحد، وقلة التركيز مما أبطأ من مستوى حفظه للقرآن، مقارنة بالأطفال الذين تقل نسبة استعمالهم للتكنولوجيا.

مقترحات الدراسة:

- ضرورة توسيع الكتابات لتهيئة الطفل للتواصل قبل مرحلة التعليم الابتدائي، في جو وسط شبيه بمناخ المنزل والمدرسة معاً.
- ضرورة المحافظة على دور الكتاب لأهميته لكن ينبغي مع ذلك الاقتراب أكثر من عالم الطفل، الذي أصبح يعيش عالم الصورة المتحركة. وذلك بتطوير وسائل وآليات التقديم في الكتابات اقترحها المبحوثون كالفصص والإشارات والأناشيد وغيرها..
- إدخال التكنولوجيا إلى الكتاب ينبغي أن يكون محدوداً جداً، بالقدر الذي يحفز الطفل، ويجعل مدلولات الألفاظ وصور الحروف واضحة في ذهنه فقط، لأن جميع عوامل التقليد متوفرة لدى الطفل، فهو ليس بحاجة لما يساعده على الحفظ.

- أهم مهارة ينبغي أن تنمي في هذه المرحلة الحساسة من عمر الطفل، والتي تكون ملكة الحفظ فيها لديه في أوج نشاطها، هي مهارة السماع، وأي استفادة من التكنولوجيا في هذه المرحلة ينبغي أن تصب في تنمية هذه المهارة أكثر من غيرها.

الهوامش:

- ¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، لسان العرب، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، دط، مادة (كتب)، ص 699.
- ² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص755.
- ³ التيجاني، عبد الرحمن بن أحمد، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص17.
- ⁴ المرجع نفسه، ص5.
- ⁵ المرجع نفسه، ص ن.
- ⁶ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(مقدمة ابن خلدون)، ضبط: أبو صيب الكرمي، دط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، دت، ص 31.
- ⁷ عمار الطالبي، كتاب آثار ابن باديس، ط1، الشركة الجزائرية لعبد القادر بودواو، باب عزوز، الجزائر، 1968، ج2، ص359.
- ⁸ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص88.
- ⁹ التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ص22.
- ¹⁰ زغزول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر، وحلولها الإسلامية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط1، 1995، ص138.
- ¹¹ الملي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم محمد الملي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص492.
- ¹² التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ص17، 34.
- ¹³ جوديث قان إقرأ، التلفزيون وغو الطفل، تر: عز الدين جميل عطية، ط3، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005، ص133، 134.
- ¹⁴ هاني رمزي عوض، التكنولوجيا الحديثة والأطفال، فوائد وأخطار، يمكن أن تؤدي إلى تقليل الذكاء والابتكار لديهم رغم مساهمتها في سرعة التعلم، 18/12/2019/18:44، aawsat.com.
- ¹⁵ ينظر، علي عبد الواحد، نشأة اللغة " عند الإنسان والطفل"، ن دط، هضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003، ص 226.
- ¹⁶ Habermas (J) , morale et communicatio, op. cit. P79
- ¹⁷ علي عبد الواحد، نشأة اللغة " عند الإنسان والطفل"، ص 228.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 226.

المراجع:

1. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(مقدمة ابن خلدون)، ضبط: أبو صيب الكرمي، دط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، دت
2. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، لسان العرب، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، دط
3. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997
4. التيجاني، عبد الرحمن بن أحمد، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983
5. جوديث قان إقرأ، التلفزيون وغو الطفل، تر: عز الدين جميل عطية، ط3، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005
6. زغزول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر، وحلولها الإسلامية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط1، 1995
7. علي عبد الواحد، نشأة اللغة " عند الإنسان والطفل"، ن دط، هضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003

8. عمار الطالبي، كتاب آثار ابن باديس، ط1، الشركة الجزائرية لعبد القادر بودواو، باب عزوز، الجزائر، 1968، ج2
9. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م
10. الميللي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم محمد الميللي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2
11. هاني رمزي عوض، التكنولوجيا الحديثة والأطفال، فوائد وأخطار، يمكن أن تؤدي إلى تقليل الذكاء والابتكار لديهم رغم مساهمتها في سرعة التعلم، 18:44 /2019/12/16، aawsat.com
12. Habermas (J) , morale et communicatio.